

الغدير

[208] عليه، ولو ضيع القوم جميعا وحفظ هو لانتصر وكانت الدولة له، ولهذا لا يضاف النصر، والهزيمة إلا إليه. ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أعظم من جهاد علي ذلك اليوم وقتله أبطال قريش. اهـ. قال الأميني: نحن لا ننسب في الجواب عن هذه الأساطير المشرجة ببنت شفه، وإنما نقصر فيه بما أجاب به عنها أبو جعفر الاسكافي المعتزلي البغدادي المتوفى 240 قال في الرد عليها (1): لقد اعطي أبو عثمان مقولا وحرمة معقولا، إن كان يقول هذا على اعتقاد وجد، ولم يذهب به مذهب اللعب واللهو، أو على طريق التفاسح والتشادق وإطهار القوة والسلطة وذلاقة اللسان وحدة الخاطر والقوة على جدال الخصوم. ألم يعلم أبو عثمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشجع البشر وأنه خاض الحروب وثبت في المواقف التي طاشت فيها الأبواب، وبلغت القلوب الحناجر؟ فمنها يوم أحد ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم ولم يبق معه إلا أربعة: علي، والزبير، وطلحة. وأبو دجانة، فقاتل ورمي بالنبل حتى فنيته نبله وانكسرت سية قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشة بن محصن أن يوترها فقال: يا رسول الله لا يبلغ الوتر، فقال: أو تر ما بلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتى بلغ وطويت منه شبرا على سية القوس، ثم أخذها فما زال يرميهم حتى نظرت إلى قوسه قد تحطمت، وبارز أبي بن خلف فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا؟ فأبى وتناول الحربة من الحارث بن السمث ثم انتفض بأصحابه كما ينتفض البعير قالوا: فتطايروا عنه تطاير الشعارين فطعنه بالحربة فجعل يخور كما يخور الثور، ولو لم يدل على ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله: "إذ تصعدون ولا تلون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم" فكونه صلى الله عليه وسلم في أخراهم وهم يصعدون ولا يلون هاربين دليل على أنه ثبت ولم يفر. وثبت يوم حنين في تسعة من أهله ورهطه الأذنين، وقد فر المسلمون كلهم والنفر التسعة محدقون به، العباس أخذ بحكمة بغلته، وعلي بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلته يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلما فروا أقدم هو صلى الله عليه وسلم وصمم مستقما يلقي السيوف والنبال بنحره

(1) رسائل الجاحظ ص 54، شرح ابن أبي الحديد